

العلاقة بين الطريقتين القادرية والتجانية ببلاد الساحل الإفريقي من خلال قراءة في مخطوط مرسل من الشيخ البكاي الكنتي الى الشيخ عمر تال الفوتي (أنموذجاً)

The relationship between the Qadiriyya and Tijaniya orders in the African Sahel countries through a reading of a manuscript sent from Sheikh Al-Bakai Al-Kanti to Sheikh Omar Tal .Al-Futi (as an exampl)

لطرش عمر ، بعثمان عبد الرحمن

جامعة أحمد درايعة أدرار (الجزائر) latrache.omar@univ-adrar.edu.dz

جامعة أحمد درايعة أدرار (الجزائر) baotman1980@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/11/15

تاريخ القبول: 2024/07/09

تاريخ الاستلام: 2024/03/15

الملخص :

تعتبر العلاقة بين الطريقتين القادرية والتجانية في بلاد الساحل الإفريقي، باعتبارها أكبر الطرق الصوفية بها، والتي تميزت بالتقارب تارة ، وبالمنافسة والمواجهة تارة أخرى، لزيادة المريدين وكسب الأتباع ، كما كان السجال العلمي والجدال الصوفي والفقهية بالأدلة بين شيوخ الطريقتين كبيراً مع توغل التجانية في بلاد الساحل ، ويعد نمط الرسائل المتبادلة بين الطريقتين من خلال زعمائها والذي مثل امتداداً للنمط الإسلامي الذي مارسه الرسول صلى الله عليه وسلم مع المنافسين ، من خلال النصح والإرشاد والتوجيه قصد توضيح رؤية الطريقة ومنهجها ، خاصة بعد تزعم الشيخ سيدي أحمد البكاي للطريقة القادرية في بلاد الساحل سنة 1847م ،

وسنحاول في هاته الدراسة الكشف عن تلك العلاقة بين الطريقتين من خلال قراءة في مخطوطة مرسل من الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي الى الشيخ عمر تال الفوتي التجاني (1796م - 1864م) ، عبر وصف المخطوط ، والتعرف على مرسلها والمرسلة إليه ، وإبراز تلك العلاقة من خلال محتوى المخطوط .

الكلمات المفتاحية :

القادرية ، التجانية ، بلاد الساحل الإفريقي ، المخطوط .

Summary:

The relationship between the Qadiriyya and Tijaniya orders in the African Sahel countries is considered to be the largest of the Sufi orders there, which was characterized by rapprochement at times, and competition and confrontation at other times to increase followers and gain followers. The scientific debate and the Sufi and jurisprudential debate with evidence between the sheikhs of the two orders were great, especially after the Tijaniya incursion into the Sahel countries. The pattern of messages exchanged between the two orders through their leaders, which represented an extension of the Islamic pattern that the Messenger, may God bless him and grant him peace, practiced with competitors, through advice, guidance, and direction, with the aim of clarifying the vision of the order and its approach, especially with Sheikh Sidi Ahmed Al-Bakai's leadership of the Qadiriyya order in the coastal countries in the year 1847 AD, .

In this study, we will try to reveal that relationship between the two methods through reading a manuscript sent from Sheikh Sidi Ahmed Al-Bakai Al-Kanti to Sheikh Omar Tal Al-Futi Al-Tijani (1796 AD - 1864 AD), by describing the manuscript, identifying its sender and recipient, and highlighting that relationship through the content. manuscript,

key words:

Qadiriyya, Tijaniya, African Sahel countries, manuscript,.

1. المقدمة :

أدت الطرق الصوفية دوراً فاعلاً في بلاد الساحل الإفريقي من خلال نشر تعاليم الإسلام الصحيحة وترسيخه في نفوس ساكنيه من خلال المنافسة على القيام بنشر أساليبها وطرقها ، والحفاظ على الأوراد الخاصة بكل طريقة والتي انتقلت مع هاته الطرق إلى بلاد الساحل ، كما أن الإصلاح الديني ومحاربة الوثنية والبدع والخرافات التي انتشرت بين القبائل الإفريقية والتي تصدى لها زعماء هاته الطرق، بداية بالطريقة القادرية التي يعود الفضل في انتشارها في الساحل الإفريقي الغربي لقبيلة كنته ، تحت لواء شيوخ كنته أمثال الشيخ سيدي المختار الكنتي الكبير (ت 1811م) ، والشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي ، ونظراً لانفتاح المجتمعات الإفريقية وتشوقها لاحتضان تعاليم الإسلام والإقبال عليه بقوة ، جاءت الطريقة التجانية بعدها لتجد لها مكاناً لدى الأفارقة ، بقيادة الشيخ عمر تال الفوتي الذي قاد حركة إصلاحية دينية ضد الوثنية في المنطقة .

لقد ساهمت كلتا الطريقتين القادرية والتجانية بفضل تعاليمها الصوفية والاختلاف في طرق تلقيها ومناهجها إلى التنافس الشديد بين زعمائها وأتباعها ومريديها في الساحل الإفريقي ، وقد تمثلت علاقة التقارب بين الطريقتين في التواصل بينهما عن طريق الرسائل المتبادلة وكتابة الكتب والأشعار المتمثلة في النصح والإرشاد والتوجيه ، وفي بعض الأحيان إلى التنازع والجدال الديني في المسائل الفقهية والصوفية بين شيوخها وزعمائها ، وتحولت هاته الطرق مع التاريخ إلى حركات إصلاحية ، عن طريق تأسيس إمارات إسلامية في الفترة الممتدة بين القرنين 17 و 18م ، وفي ظل انتشار الوثنية وتوغل الاستعمار الفرنسي والأوروبي ، برزت هاته الدويلات مثل إمارة ماسينا ، و سوكونو ، والدولة العمرية تحت لواء الشيخ عمر تال الفوتي ، وكذا زعامة الشيخ سيدي أحمد البكاي في تمبكتو ، وسنحاول من خلال المخطوطة المرسلة من الشيخ سيدي أحمد البكاي الكنتي إلى الشيخ عمر الفوتي ، الغوص في العلاقة بين الطريقتين القادرية والتجانية في الساحل الإفريقي ، مبرزين إشكالية تلك العلاقة ، وأهمية الرسالة في توضيح بعض الغموض في المواقف بين الطريقتين ، والأسباب الدافعة إلى التواصل بين الطريقتين من جهة ، وربما المواجهة بين زعمائهما على الأقل ؟ عبر منهج وصفي للمخطوط ، وتاريخي للتعرف على مرسلها والمرسلة إليه ، كما تهدف الدراسة إلى توضيح تلك العلاقة وتطورها عبر التاريخ ، من خلال خطة تقديمية للمخطوط الذي بين أيدينا مقسمة إلى فصول بدءاً بوصف حالته ، ومن ثم التوغل في محتواه ، وأهمية المخطوط في إبراز تلك العلاقة .

2. وصف حالة المخطوط :

2.1 حالة المخطوط :

- المخطوط عبارة عن مراسلة من الشيخ سيدي أحمد البكاي بن محمد بن المختار الكنتي إلى الأمير الشيخ الحاج عمر بن سعيد الفوتي ، والذي يتحدث عن وقائع وأحداث خلال حياة الشيخين في القرن 19 م ، وهو تاريخ المخطوط ، تتضمن العديد من النصح والإرشاد ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكذا الشفاعة لبعض الشخصيات البارزة في بلاد الساحل الإفريقي ، وكذا إبراز وتوضيح بعض المواقف من الأحداث والشعوب والقبائل التي تسكن المنطقة.

العلاقة بين الطريقتين القادرية والتجانية ببلاد الساحل الإفريقي من خلال قراءة في مخطوط مرسل من الشيخ البكاي الكنتي الى الشيخ عمر تال الفوتي (أموذجاً) .

- المخطوط منسوخ نظرا لبدايته كالتالي " ومما كتب به الشيخ الكامل وبحر العلم الشامل الشيخ سيد أحمد البكاي...¹ "، كما أن المخطوط ينسب إلى صاحبه نظرا لورود اسمه واضحا في نصه ومرسل من طرفه .
- المخطوط محفوظ بخزانة زاوية شيخ الركب النبوي أبي نعام الكنتي² بأقبلي³ دائرة أولف التابعة إقليميا لولاية أدرار الجزائر .
- المخطوط يتكون من 04 لوحات حالة المخطوط ، تبدو في حالة لا بأس بها سوى بعض الأسطر المحاة خاصة السطور الأولى في اللوحة رقم 02 ، كما أن به بعض الخروم والتآكلات خاصة في الجوانب العليا والأطراف وبقعة صفراء في يمين الورقة الأولى بسبب سوء الحفظ .
- المخطوط مكتوب بخط مغربي متوسط سوى بعض الكلمات في بداية المخطوط وبداية بعض الفقرات فقد كتبت كبيرة للدلالة على التنبيه، لم يتغير في كامل الأوراق كما استعمل اللون البني في بداية المخطوط ، كما أن هناك تغير في جودة الخط في نهاية كل لوحة وهو خالٍ من العناوين في اللوحات .
- كلمات السطر الواحد تتراوح ما بين 07 كلمات الى 09 وتقل في نهاية اللوحة .
- عدد الأسطر في اللوحة الأولى 29 سطر أما الثانية والثالثة والرابعة فعدد الأسطر 31 سطراً .
- مسطرة المخطوط (28سم × 16سم) في أغلب اللوحات .
- المخطوط به بعض الهوامش عبارة عن كلمات أو تصحيحات في اللوحة الثانية والرابعة والتعقيية في اللوحة الثالثة .

2.2 بداية المخطوط :

يبدأ المخطوط بحمد الله والصلاة على رسوله الكريم ثم تحية السلام كالآتي :

" الحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده من عبد ربه احمد البكاي بن محمد بن المختار بن احمد بالسلام والاكرام الى الامير الشيخ الحاج عمر بن سعيد الفتاوي ايد الله به الدين وقمع به المفسدين ونصره على المعتدين وبعد فاننا نهنئك بما اعطاك الله من الدين

¹ الشيخ احمد البكاي ، الورقة 01.

²خزانة زاوية شيخ الركب النبوي ببلدية اقبلي دائرة اولف ولاية ادرار الجزائر ، تأسست على يد شيخ الركب النبوي أحمد بن عبد الرحمن ابي نعام الكنتي خلال القرن الثامن عشر الميلادي الثاني عشر الهجري .

³مدينة اقبلي: هي احدى بلديات دائرة اولف تبعد عنها بحوالي 60 كم ضمن إقليم تيديكلت ، أهم قصورها أركشاش ، وزاوية ابي نعام ، وساهل .

وممكنك فيه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان هذا هو ما يهني به اهل الله تعالى واما الدنيا وملكها فإنها فتنة وبلاء يهرب منه اهل الله ويستعيذون منه بالله...⁴.

3.2 نهاية المخطوط :

ينتهي المخطوط بمبيلي " ...ردع الله بك الظالمين وقمع بك الظلم وأهله واحي بك العلم وعدله وأظهر بك الدين وفضله والسلام عليك وعلى جماعتك كلها سلمنا الله وإياكم وعافانا وعافاكم والسلام "

ولا يبدو في آخر المخطوط تاريخه ولا اسم ناسخه ، لكن يمكننا أن نتعرف على ناسخه من خلال بداية المخطوط ، على أن الناسخ أحد طلبة الشيخ حيث يقول " ومما كتب به الشيخ الكامل ... إلى أن يقول رضي الله عنهم أجمعين وجعل حظنا منهم كثيرا في الدارين... " ⁵

3. التعريف بالمرسل إليه الشيخ الحاج عمر بن سعيد الفوتي :

هو الشيخ أبو حفص عمر بن سعيد بن عثمان بن مختار بن أحمد تال الفوتي الطوري الحلواني الكدوي ، ولد سيدي الحاج عمر الفوتي أواخر شعبان من سنة (1212هـ - 1796م)، بقرية حلوار التي تبعد عن بدور (Podor)، حوالي أربعين كيلومتر في إقليم فوتاتور⁶ على الحدود الغربية السنغالية الموريتانية.

ينتمي الشيخ عمر الى أكبر القبائل الفلان العربية وسط إقليم الغرب الإفريقي وهي قبيلة (التورودي) المصلين الدينية ، وعلى يد مشايخ العائلة تلقى تعليمه الأولي⁷، أبوه يدعى (سيدو) وتعني السيد وهو لقب يطلقه الأفارقة على السيد أو الذي ينتمي إلى المرابطين ، أما أمه فتدعى (أداما سيسي) التي ورث منها التقوى والإيمان فقد كانت شديدة التقوى والورع ولازمه طوال حياته ، ويصفها بقوله: " لقد تركت كثيرا من الآباء يشبهون أبي في فوتا ، ولكنني لم أترك فيها من النساء من تشبه أُمي " ⁸ ،

حفظ القرآن في سن مبكرة كما تعلم مبادئ اللغة العربية والكتابة على يد والده وفي كنفه ، كما تلقى دراساته الأولية للعلوم الإسلامية من توحيد وفقه وأصول على يد أفراد عائلته وعلماء قريته حلوار أو هلوار ، وكانت تبدو عليه علامات النجاسة والطموح من

⁴ أحمد البكاي ، الورقة 01.

⁵ أحمد البكاي نفسه، الورقة 1.

⁶ محمد الحافظ التيجاني، 1963، ص 10.

⁷ محمد سعيد القشاط ، 1997، ص 115.

⁸ كي زيربو جوزيف ، سنة 1994، ص 638.

صغره فقد عرفها فيه شيوخه ومعلميه ، كان شاباً متحمساً فقد تنقل للقرى القريبة للاستزادة من العلوم والمعرفة أمثال قرية " دريس " وقرية " سين فلل " ساتينا⁹ ، مجاوراً ومتعلماً على يد كبار العلماء والشيوخ في رحلة علم عبر غرب إفريقيا .

العلاقة بين الطريقتين القادرية والتجانية ببلاد الساحل الإفريقي من خلال قراءة في مخطوط مرسل من الشيخ البكاي الكنتي الى الشيخ عمر تال الفوتي (أنموذجاً) .

أبانت شخصية الشيخ عمر عن نفسها مبكراً فقد كان مختلفاً عن أقرانه ، فكان فتي ذا قدرات واسعة في العلم والتحليل ، صبوراً في طريق التربية الدينية باحثاً عن صنوف العلوم العقلية والنقلية بفكر ثاقب ، اشتهر وذاع صيته في إقليم تور رغم حداثة سنه لم تسعه الجغرافيا فقد كان يرمي إلى تغيير بيئته وأوضاع قومه ومحيطه ، سافر إلى عدة أقاليم وبلدان ، وكانت بداية رحلته سنة 1815م إلى إقليم فوتاجالون في غينيا ، حيث قضى فترة معلماً ومدرساً لتعاليم الإسلام لأبناء المسلمين ومصلحاً وناصحاً في قرية تسمى " كرمونستانا " وبها التقى بالشيخ المرابي الصوفي التجاني الشيخ عبد الكريم بن أحمد الناقل ، والذي كان أول من لقنها وأورد الطريقة التجانية ومبادئ علم العروض ، كما أخذ عنه الأسرار النورانية والتربية الروحية حيث لازمه لأكثر من سنة كاملة عاكفاً على التعلم والتدريس والتعب ، لقد أثرت فترة مصاحبة الشيخ عمر تال للشيخ عبد الكريم في شخصيته وصقلت مواهبه الروحية والصوفية كما أبانت له عن الطريق الروحي والمسلك الرباني المراد ، وزودته بالأسرار للوصول إلى الغايات من العبادات ، انتقل بعدها في رحلته العلمية إلى موريتانيا ليلتقي بالشيخ مولود فال¹⁰ ، الذي جدد له الأوراد التجانية والعهد الصوفي .

وفي سنة 1827 م ارتحل قاصداً الأراضي المقدسة للحج مع شيخه عبد الكريم بن أحمد ، في رحلة طويلة دامت 20 سنة معرجاً على " ماسينا " ثم " سوكتو " وإقليم " برنو " وفي رحلته شاهد أوضاع تلك المناطق وانتشار البدع والخرافات والوثنية المنتشرة وابتعاد الناس عن الدين الصحيح ، كما مر على أرض الكنانة مصر وعاصر الثورات ضد الهيمنة البريطانية والتركبة ، وفي أرض الحجاز مكة التقى بجمهرة من العلماء والشيوخ من شتى البلدان الإسلامية مما زاد من ثقافته ومعرفته الإسلامية وتطورت معها رغبته في تغيير العادات السيئة والخرافات في المناطق الإفريقية ، كما التقى بمكة الشيخ الجليل العارف بالله " سيدي محمد الغالي " مجاوراً فكأنه نال المنى وقال ففرحت بذلك فرحاً عظيماً¹¹ ، فلزمه لمدة ثلاث سنوات خادماً له وتوطدت العلاقة بينهما كما أجازته إجازة فريدة وأمدته بالأوراد ومنحه أسرار التجانية حتى عاد أحد أقطابها وعينه شيخه محمد الغالي خليفة له وللطريقة التجانية في غرب إفريقيا ،

عاد الشيخ عمر تال الفوتي إلى السودان الغربي مطلع سنة 1831م وقد أصبح ذا مكانة روحية وعالمياً إسلامياً حاملاً لأوراد الطريقة وتربيتها الروحية ، والأكثر من ذلك مشروعاً لتغيير الأوضاع الإسلامية في غرب إفريقيا ، مرتكزاً على تكوينه الصوفي للانطلاق في مشروعه كسلاح للدعوة والإصلاح¹² ، وقد مر مشروعه الإصلاحية بمراحل انتقلت من الدعوة إلى المواجهة المسلحة مع الوثنيين ، كما واجه المستعمر الفرنسي في المنطقة .

⁹ بوركنه علي ، ديسمبر 2020 ، ص 97 .

¹⁰ برايمبابي عثمان ، سنة 2000م ، ص 188 .

¹¹ محمد الحافظ التيجاني ، نفس المرجع ، ص 10 .

¹² أحمد الأزمي ، سنة 2000 ، ص 347 .

لطرش عمر

بدأ حركته الدعوية والإعداد من مملكة برنو بنشر الدين الصحيح ومحاربة البدع والخرافات خاصة بعد وفاة سلطاتها ، إلا أن الأوضاع السياسية حالت دون بقاءه حيث انتقل بعدها إلى سوكونو سنة 1832م فصار حاكمها محمد بللو ودامت إقامته 07 سنوات سمحت له بزيادة توسيع دعوته التجانية والتفاف المحبين حوله ، كما سمح له الاستقرار بزيادة تكوين نفسه سياسياً وفكرياً ، تنقل بعد ذلك إلى ماسينا التي لم يلبث بها كثيراً .

لقد كان انتقال الشيخ عمر إلى "جيكونكو" نهاية سنة 1847م حدثاً هاماً حيث التف حوله المريدون بعد جولاته الدعوية فأعجب الناس بدعوته وتحمس التابعون له ، كما أرسل رسائل إلى الأمراء والزعماء يدعوهم إلى الإسلام الصحيح وقد لاقت دعوته حفاوة الترحيب في كامل أعالي نهر السنغال ، بعد جيكونكو التي لم تستوعب دعوته وأنصاره ، جاءت الهجرة الكبرى إلى "دينغراي" سنة 1851م حيث انتقل إلى مرحلة الجهاد ضد الوثنية ، فبدأ بتشييد الحصون وبناء القلاع والتدريبات العسكرية وشراء البنادق والأسلحة وتجهيز الجيوش ومن ثم تم القضاء على ملك "تامبا" بفوتاجالون الوثني كما سيطرت قوات الحاج عمر على منجم الذهب "بيوري" بداية لسلسلة حروب طاحنة ضد الممالك الوثنية انتهت بتأسيس دولة بالمنطقة وإقليم "بامبوك" وغرب إفريقيا سنة 1852م

13

أثناء تأسيس دولته العامرة في غرب إفريقيا حاول الشيخ عمر تجنب المواجهة مع الفرنسيين خاصة مع امتلاكهم للأسلحة وتحصن الحامية الفرنسية في سان لويس ، والتخوف من التحالف بين فرنسا وقبائل فوتا وبامبوكوبوندو والتفرغ لمحاربة الممالك الوثنية وتقوية دولته والتوسع على حسابها ، إلا أنه مع تواصل سياسة فرنسا التوسعية وشعور الحاج عمر بخطر الفرنسيين بدأ بالمواجهة والهجوم على الحاميات الفرنسية سنة 1855م وعرقلة النشاطات التجارية للفرنسيين ، وبعد الكثير من المواجهات بين قوات الحاج عمر والفرنسيين التي دامت لسنوات توجه إلى "سيغو" التي هزمها وبعدها تحالفت مع المسلمين في "ماسينا" والقادرين بزعماء الشيخ البكاي حيث حوَّص الشيخ عمر الفوتي ، وتوفي مختنقاً بالدخان سنة 1864م ، ولم يتمكن أولاده بعده من الاستمرار بمواجهة الاستعمار بسبب النزاعات على السلطة .

يعتبر الشيخ عمر الفوتي مرجعية الطريقة التيجانية في غرب إفريقيا وإليه يرجع أورادها وأسانيدها لدى معظم المريدين في السنغال وغيرها في إفريقيا الغربية، خلف العديد من المؤلفات أهمها " رماح حزب الرحيم على نحو حزب الرحيم " ، و " بيان البدع الشيطانية التي أحدثها الناس في أبواب الملة " وكتاب " الجهاد والتصوف " وغيرها رحمه الله رحمة واسعة .

¹³ محمد بن شوش، ماي 2017 ، ص 13.

العلاقة بين الطريقتين القادرية والتجانية ببلاد الساحل الإفريقي من خلال قراءة في مخطوط مرسل من الشيخ البكاي الكنتي الى الشيخ عمر تال الفوتي (أمودجا) .

4. التعريف بصاحب المخطوط الشيخ العارف بالله سيدي أحمد البكاي الكنتي :

هو الشيخ سيدي أحمد البكاي بن الشيخ سيدي محمد الخليفة بن سيدي المختار الكنتي وهو أصغر إخوته ، ينتمي إلى قبيلة كنته ، أحد أهم وأكبر القبائل العربية المتواجدة في الصحراء الكبرى ، يرجع نسبها إلى الفاتح عقبة بن نافع الفهري ، كما تعد أحد القبائل الأكثر منعة وأحد القبائل خدمة للإسلام في الصحراء الكبرى ، كما تعد حاملة لواء الطريقة القادرية ، يعد الشيخ أحمد البكاي أهم الشخصيات المؤثرة في تاريخ الصحراء الكبرى حيث يقول عنه صاحب فتح الشكور " هو الولي العارف بالله تعالى المتبرك المشهور كان من عباد الله الصالحين والأولياء المعروفين المشهورين " ¹⁴،

ولد الشيخ البكاي حوالي سنة 1803 م بضواحي قرية المبروك بتمبكتو ، وبها تلقى تعليمه الأولي على يد أبيه وجده ، عاش فترة خليفة لأخيه سيدي المختار ، كان الشيخ أحمد فقيهاً وشاعراً وعالماً جليلاً ، لكن بالإضافة إلى ذلك كله كان زعيماً وقائداً وسياسياً ، مارس الدبلوماسية على وجهها الحقيقي حيث ترك العديد من المراسلات بينه وبين العلماء والسياسيين والأمراء داخل إفريقيا وخارجها ، رحل الشيخ سيدي أحمد البكاي إلى العديد من الجهات والأقاليم مثل " ماسينا " "سوكوتو" "والهقار" "وتوات" ¹⁵.

كانت حياة الشيخ أحمد البكاي ونشأته مليئة بالأحداث خاصة وأن تنبكتو تربطها صلات مع الإمارات القريبة خاصة "سوكوتو"، و"حمّد الله"، و"ماسينا"، ومع تغلغل القوات الأجنبية ومحاولتها السيطرة على المنطقة كانت الأحداث والمشاهد تتوالى ويلاحظها لتتكون شخصيته وفكره لتتبلور مستقبلاً في وجدانه حلول جديدة لها ، كما تأثر الشيخ بمبادئ الصوفية القادرية التي ورثها عن أسلافه، ويعد أحد أعلامها ومجديها ، تولى الشيخ البكاي الزعامة الكنتية والقيادة المختارية السياسية بعد وفاة أخيه سيدي المختار سنة 1847م حيث شهد عصره عدة خلافات واضطرابات ¹⁶.

يعد الشيخ أحمد البكاي وريث المحاضرة الكنتية في الصحراء الكبرى ، المحاضرة التي تضم آلاف المريدين وحفظه القرآن وطلبة العلم القادمين إليها من جُلّ المناطق الإفريقية ، شارك بنفسه في تدريس العلوم الفقهية واللغة العربية ، إضافة الى أنه يعد لسانها المدافع عن الكنتيين ضد القبائل المجاورة ، يرد عليها ويدافع وينافح عنها، فقد كان شاعراً فذاً لطالما استخدم الهجاء ضد المناوئين لقبيلة كنته ،

¹⁴ محمد بن ابي بكر الصديق البرتلي الولاتي ، 1981، ص 30.

¹⁵ أج ولد محمد ولد أمينوه، 2013، ص 10.

¹⁶ عبد القادر زباديه ، ماي 2010 ، ص 99.

أمثال قبائل "أدو الحاج" و"الانصار" فقد هجا القبيلتين في قصيدة طويلة رداً على الشاعر أحمد سالم الذي هجا فيها كنته يقول في مطلعها :

طرقت نفيسة والدجي لم ييخل
وسنان من طول السرى في الهوجل

لطرش عمر

باتت يمثلها لعيني طيفها
فأرقت لا للعاراض المتهلل

غيداء كنتاويه أموية
قرشية ومن الطراز الأول¹⁷.

بالإضافة الى علمه وتدينه كان الشيخ البكاي من الطامحين للرياسة¹⁸ عكس أجداده المتصوفين ، ذا نظرة مستقبلية طموحاً بعيداً عن الزهد والتقشف يتصف بالكرم حتى مع أعداءه ، يزوره الناس من كل فج وكان أكثر الناس زيارة له الغرباء يستقبل المسافرين والتجار قصد التبرك به لما سمعوا عن فضله ومكانته العلمية ، كما كان الرجل زعيماً سياسياً حيث كانت له مراسلات عديدة مع جميع الجهات، وقد شارك في العديد من المفاوضات والمعاهدات السياسية ، كانت أهمها مع الشيخ عمر الفوتي ، والشيخ الفقيه محمد أكنسوس المغربي ، كما راسل حكومة بريطانيا عن طريق مفوضها "هنري بارث" وبقي تحت حمايته ، كما عقد الصلح مع الطوارق والفلان لتستعيد تمبكتو استقلالها الداخلي من جهة كما كانت له معاهدات مع الفرنسيين من جهة أخرى¹⁹ ،

دخل الشيخ البكاي في صراعات مع أمراء ماسينا وحاولوا اغتياله، بعدها خرج إلى بادية تمبكتو نظراً للخلاف الحاصل حول حماية و استضافته للمستكشف بارث²⁰، كما دخل في صراع مع زعماء "حمد الله" الذي اعتبر فهمهم للإسلام خاطئاً من خلال دعوتهم للجهاد ، كما صد هجمات ابن أخيه حمادي الكنتي الذي حاول الإطاحة بالمستكشف هنري بارث وقتله باعتباره غريباً عن المنطقة وعاداتها ومشكوك في بقاءه في تمبكتو ، كانت له مراسلات عديدة رد بها على التجانيين ، وبعد دخول الحاج عمر الفوتي إلى ماسينا كاتب قادة ماسينا الشيخ أحمد البكاي لمساعدتهم لمواجهة الحاج عمر الفوتي فاستجاب لهم ، وبفضل التحالف بين ماسينا والكنتيين تم تتبع قوات الحاج عمر إلى جبل دكمبيري ، وبه كانت نهاية الحاج عمر الفوتي سنة 1864 م وتوقيف توسع دولته.

كان الشيخ أحمد البكاي عالماً ،صاحب قلم وشاعراً أديباً ومجدداً صوفياً ، كما أنه كان محارباً عسكرياً ومفاوضاً سياسياً حُدد في ذاكرة الصحراويين، كانت وفاته سنة 1282هـ الموافق 1865م ،ويوجد قبره في جبل ولاته الغربي²¹ ، تاركاً خلفه طريقة وقبيلة ذات صيت إفريقي وإراثاً علمياً تمثل في ثلاثين قصيدة ، وعشرين مراسلة والعديد من الأدعية والفتاوى رحمه الله رحمة واسعة .

¹⁷محمد سعيد القشاط ، مرجع سابق ، ص 20.

¹⁸محمد سعيد القشاط ، نفسه، ص 20.

¹⁹أج ولد محمد ولد أمينوه، نفس المرجع ،ص 10.

²⁰محمد الصالح حوتيه ، 2007م، ص 293.

²¹محمد بن ابي بكر الصديق البرتلي الولائي ، نفس المرجع ، ص 30.

تضمن مخطوط الرسالة العديد من الفصول الواضحة كما هي جل الرسائل ، كما عاجت عدة قضايا أرسلت من أجلها سنحاول تناولها حسب مراحل :

العلاقة بين الطريقتين القادرية والتجانية ببلاد الساحل الإفريقي من خلال قراءة في مخطوط مرسل من الشيخ البكاي الكنتي الى الشيخ عمر تال الفوقي (أنموذجاً) .

1.5 الفصل الأول :

في 21 سطر وهو مرحلة تمهيدية في الرسائل، كانت بداية المخطوط بحمد الله تعالى والصلاة على حبيبه صلى الله عليه وسلم ، وهو نمط اعتاد عليه المسلمون في افتتاح رسائلهم ، ذكر المرسل سيدي أحمد البكاي نسبه فهو أحمد بن محمد²² بن المختار بن أحمد²³، مسلماً على الأمير الشيخ الحاج عمر الفتاوي²⁴، معترفاً بفضل ومكانته الدينية ، ومأمكه الله من الملك والنصرة على المفسدين في المنطقة وهاته شهادة من الشيخ أحمد البكاي للأمير الحاج عمر قائلاً: "...أيد الله به الدين وقمع به المفسدين ونصره على المعتدين ..."²⁵ داعياً إياه إلى الزهد في الدنيا وزينتها .

ثم قدم الشيخ سيدي أحمد البكاي نصيحة جليلة للأمير وهذا من حرصه كمسلم في تقديم النصيحة بالتقوى والرأفة والرحمة مع جميع عباد الله والعفو والصفح خاصة مع الأعداء مستشهداً بالآية الكريمة ((أَذْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ))²⁶ ، ودعاه إلى الصبر والحلم ومخالفة الهوى وكظم الغيظ وهي صفات لا بد أن تتوفر في الملوك والأمراء ، ولا تنال الدرجة العليا عند الله إلا بالصبر قال الله تعالى ((وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ))²⁷ ، ومعاملة خلق الله كافة سواسية بالحسنى لأن معاملة خلق الله معاملة للخالق مذكراً إياه بالحديث القدسي ((عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَا ابْنَ آدَمَ، مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَعُوذُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرَضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ! يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطَعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَطْعِمُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطَعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تُطْعِمَهُ! أَمَا عَلِمْتَ

²² محمد بن المختار الكنتي والد الشيخ احمد البكاي تعلم على بد والده سيدي المختار الكنتي العلم بمحضته بتبكتو وورثها بعده كتب عن الكثير من اخبار والده في مخطوط (الطوائف والتلائد في اخبارالشيخين الوالد والوالدة) ، توفي سنة 1270هـ . 1854م .

²³ هو الشيخ سيدي المختار بن احمد بن ابي بكر بن حبيب الله بن الوافي الكنتي جد الشيخ احمد البكاي ولد سنة 1142هـ ، عرف بالزهد والكرامات وكان وليا صالحا من اولياء الله .

²⁴ نسبة الى إقليم فوتاتور الواقع بمنطقة شبه صحراوية حول نهر السنغال ممتدة بين الحدود جنوب موريتانيا وشمال السنغال عاشت بها القبائل الفلانية .

²⁵ احمد البكاي، نفسه ، الورقة 01 .

²⁶ القرآن الكريم ، الآية 33 من سورة فصلت ، برواية ورش عن نافع .

²⁷ القرآن الكريم ، الآية 34 من سورة فصلت ، برواية ورش عن نافع .

أَنْتَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي! يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أَسْقِيكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! قَالَ:
اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَا نَّ فَلَمْ تَسْقِهِ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي".²⁸

لطرش عمر

2.5 الفصل الثاني :

وفيه إبراز لعلاقة الشيخ سيدي أحمد البكاي بالشيخ عمر الفوتي ، وكذا اعتذاره له عن مواقف وأمر حدثت بينهما وعن كلام خاطئ نقل للشيخ أحمد البكاي عن الأمير، وهو مراد الشيخ من إرسال الرسالة للأمير عمر لتوضيحها وتفسيرها ، بعد أن أمره بالصفح والحلم فيقول : "...وكن معي أنا خصوصاً كذلك..."²⁹، وفيه تأكيد على خصوصية العلاقة بينهما ويتابع : "...فإني أعتذر إليك وأطلب منك أن تصفح عن أشياء حملني عليها أمران أحدهما لا أذكره الآن ولعلك تسمعه من غيري ثانيهما كلام الناس وما ينقلون عنك..."³⁰ ، وعدم ذكر الأمر الأول من الشيخ لعله نسيه أو في ذكره حرج ولذلك قال لعلك تسمعه من غيري ، وكلام الناس فقد نقل إلى الشيخ أحمد البكاي أن الأمير يقول أنه روح الله المسيح عيسى بن مريم رسول الله معقباً أن الأمر أفلق الشيخ أحمد ونفري، ومن يدعي ذلك لادين له ، يقول: "... ثانيهما كلام الناس وما ينقلون عنك من أنك تقول أنك روح الله المسيح عيسى بن مريم رسول الله..."³¹ كما نقل كلاماً من أحد الثقات وهو سيدي أحمد الوداوي³² ، محذوف في السطر الأول الورقة الثانية بسبب ترهل الورقة وسوء الحفظ ، و في معناه كلام لم يفهم الشيخ أحمد البكاي ما أراد به الأمير عمر الفوتي ، لكنه يحذره منه ، واستدل له بما حدث لابن العربي³³ ، على قدره في الولاية حيث أنكر الناس عليه كلاماً لم يفهموه بل توصل الأمر إلى أن قالوا بكفره ، وكذا ممن كلماته أدت

²⁸ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، 1991م ، ص 1990 ،

²⁹ أحمد البكاي ، نفس الرسالة ، الورقة 1 .

³⁰ أحمد البكاي ، نفسه ، الورقة 01 .

³¹ أحمد البكاي ، نفسه ، الورقة 01 .

³² لم نقف على ترجمة له في كتاب التراجم الخاصة بالمنطقة .

³³ هو محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن عبد الله الحاتمي من قبيلة طي ويلقب بابن عربي أو محي الدين ولد في الاثنين 28 يولية سنة 1165م في مدينة مرسية بالأندلس وانتقل بعدها والده الى مدينة اشبيلية ، عرف بالنبوغ وعد من أعلام الزهد والتقوى والتصوف وكان أبوه علي بن محمد من أئمة الفقه والحديث ، ينظر : أبي بكر محي الدين محمد بن علي بن عربي ، 1999 ، ص 3 .

إلى قتله؛ الحلاج³⁴، وأدى قتله إلى تسلط التتار على بلاد المسلمين يقول الشيخ أحمد "... فإنك تعلم أن ابن العربي الحاتمي على جلالته في العلم والولاية ، أنكر الناس عليه كلمات له لم يعرفوا معناها كفروه بها "...³⁵ وقال "... وكذلك الحلاج حتى قتل ..."³⁶.

ثم يسترسل الشيخ سيدي أحمد البكاي في طلب العفو لما سببته هاته الكلمات التي نقلت له وسمعها ، ثم تبين له عكسها لما سمع من تفسير الشيخ عمر الفوتي لها ، ومن خلال ذلك يتبين لنا أن الشيخ عمر رد على الشيخ أحمد البكاي ووضح له تفسير هاته

العلاقة بين الطريقتين القادرية والتجانية ببلاد الساحل الإفريقي من خلال قراءة في مخطوط مرسل من الشيخ البكاي الكنتي الى الشيخ عمر تال الفوتي (أنموذجاً) .

الكلمات سواء في رسالة مكتوبة أو شفهيًا عن طريق رُسله، أو أخبره أحد على لسان الشيخ عمر سمعاً حيث يقول: "... فنحمد الله على ما سمعنا من تفسيرك لها ولم نقل ما قلناه عداوة لك ولا بغضاً فيك ولا كراهية لها "...³⁷ ، ثم يكرر اعتذاره للشيخ عمر الفوتي ويستغفر من سوء ظنه وهذا من فرط تواضعه ، ويدعوه إلى العفو والصفح فهي شيمة الأولياء ويحذره من الحقد وهي شيمة الأشرار .

ومما يمكننا قوله في هذا المجال، مما يتعلق بشخصية الشيخ عمر الفوتي، أن الرجل ذو شخصية فريدة سابقاً لعصره عالماً، مطلعاً، جال بقاع الأرض، ذا تجربة ، بالإضافة إلى أنه مصلحاً متعلماً للعقيدة الصحيحة وسنة نبيه ، حارب الوثنية والشعوذة المنتشرة في بلاد الساحل الإفريقي ومنطقته فوتاً، كان محباً للإنسانية، هدفه الوحيد إنقاذ قومه من الوثنية وإرشادهم إلى تصحيح التعاملات الدينية الوجدانية ، وقد يكون جل الكلام المنقول للشيخ أحمد البكاي وغيره من زعماء المنطقة على الشيخ عمر الفوتي، ما هو إلا وشايات ضده فقد حاول ملوك الوثنية ومثلوا البعثات الاستعمارية سد الطريق أمامه واتهامه بالعديد من التهم قصد إضعاف موقفه³⁸ ، وشن هجمات شرسة ضده ، فقد رأوا فيه خطراً على ملكهم ومصالحهم ، ومما يؤكد كلامنا، أن الشيخ أحمد البكاي قد اعتذر من الشيخ عمر الفوتي بعد التأكد من مواقفه الدينية وشخصيته الإسلامية الموحدة " فنحمد الله على تفسيرك لها " ³⁹.

ثم ينتقل الشيخ البكاي إلى تبين موقف الشيخ عمر معه شخصياً كأمر، داعياً إياه إلى علاقة بين أخوين مصلحين مع ظنه الحسن في الأمير حباً لدين الله وتعظيماً لأوليائه والمصلحين من عباده، يقول: "... واطلب منك أن تعرفني بحالك وعملك معي ..."⁴⁰

³⁴الحلاج: هو الحسين بن منصور الحلاج ولد منتصف القرن الثالث عشر هجري عمل أبوه بصناعة الحليج ، ومنها اتاه اللقب ، تلقى التصوف وخرقته في شبابه من المتصوف عمرو المكي بسهل التستري ، والخرقة هي رمز للانخلاع من الدنيا ، اتصل بالجنيد شيخ الصوفية ، وطاف بالهند وعاد الى بغداد واصبح له مريدون ، له ديوان شعري وعدة مؤلفات منها الاعمال الكاملة للحلاج والطواسين ، اتهم بالكفر وحوكم وأدخل السجن . ينظر : صلاح عبد الصبور ، سنة 2000 ، ص 132.

³⁵ احمد البكاي ، نفسه ، الورقة 2

³⁶ احمد البكاي ، نفسه ، الورقة 2.

³⁷ احمد البكاي ، نفسه ، الورقة 2 .

³⁸الحسن يرولي ، سنة 1998 ، ص 57.

³⁹ احمد البكاي ، نفسه ، ، الورقة 2

⁴⁰ احمد البكاي ، نفسه ، الورقة 02.

، كما يذكره بالعلاقة الوطيدة بين السلاطين وأسلافه من آبائه أمثال العلاقة مع الشيخ محمد بل⁴¹ بن الشيخ عثمان بن فودي⁴²، فقد كانت العلاقة بينهم وبين الشيخ المختار الكنتي الكبير وطيدة ، حيث بايعه الشيخ عثمان وابنه محمد بلو وأمراء سكوتو وجميع القبائل الفلانية ، والمبارا ، والسنغاي ، وكانت له مكانة ونفوذ في المنطقة الشمالية والغربية للساحل الإفريقي ، ويتنقل الشيخ أحمد البكاي إلى تحذير الأمير عمر الفوتي من أهل أرضه ، وأنهم أهل تائم ومكر وغدر ، وأنهم قد يسعون بالوشايات إلى إفساد العلاقة بينه وبين الأمير

لطرش عمر

عمر، كما فعلوا مع آل الشيخ أحمد الماسيني⁴³، فقد حاولوا تأليبهم وخلق عداوة بينهم لولا محبة آل الشيخ والفلان عمومًا للشيخ أحمد البكاي ومكانته العلمية ، يقول لأن الأمراء أبناء الدنيا بطمعهم وحبهم لمناصبهم والعلماء أبناء الآخرة، ولذلك العلاقة تعد علاقة عداوة بين أهل الدنيا والآخرة .

3.5 الفصل الثالث :

وفي هذا الفصل ينتقل الشيخ إلى إبراز دوره كعالم ومصلح ، حيث يرى أن تعليم الجاهل وتقويم المائل أهم ، فيقول: " ... وحالي وحالك وعملنا تعليم الجاهل وتقويم المائل وإعطاء السائل ... " ⁴⁴، ثم يبين للأمير موقفه من الجهاد والملك والإمارة عمومًا فيرى أن الجهاد لما فيه من الفضل إلا أنه يميل إلى السلم وطريق العلماء المصلحين بالحسنى في رده على رسالة الشيخ محمد بل حيث يقول : " ... وقد قال لي بعض الشيخ محمد بل رحمه الله لما كلمته في مال كئنه ... مالك لا تقيم الجهاد وأنت قادر عليه وتستغني عن الطلب هكذا من اللصوص قلت أعلم ما في الجهاد من الفضل ولكن الجهاد يؤدي إلى الملك ، والملك يؤدي إلى الظلم وحالنا هذا خير من الجهاد وأسلم ... " ⁴⁵، ويستدل بموقف حدث مع جده مع السلطان مولاي اسماعيل⁴⁶ حيث قال له: " ... وقد قال سلطان الغرب مولاي اسماعيل للشيخ جدي أنت سلطان آخرة وأنا سلطان دنيا فلا تمشي معي ... " ⁴⁷، وكذلك الخلفاء الراشدون وغيرهم من الأمراء

⁴¹ محمد بل أو بلو هو ابن الشيخ عثمان بن فودي ولد سنة 1780م ، ، كان عالما فقيها ومحاربا شجاعا وقف مع والده في تأسيس دولته وخلفه على الإمارة العمرية 1817 الى 1837م.

⁴² الشيخ عثمان بن فودي :من قبيلة التورودي أهم وأكبر قبائل الفلان العربية في وسط وغرب إفريقيا ولد سنة 1754م حارب البدع والخرافات وكان مصلحا وعالما بين القبائل الافريقية ، بدأ الدعوة الى الدين الصحيح في إفريقيا وهاجم العادات السيئة كما أسس الدولة العمرية وحمل السلاح ضد الدويلات الوثني ينظر : محمد سعيد القشاط ، مرجع سابق ، 1997م ، ص 115.

⁴³ أحمد لوبو باري: ولد بقرية يوغو ماسيرو سنة 1775م ، تأثر بفكر الشيخ عثمان بن فودي وكان قادري الطريقة ، أسس مدينة حمد الله 1815 م وكانت حاضرة لدولته في ماسينا ، ينظر : الهادي هارون ، ، 2017م ، ص 88.

⁴⁴ أحمد البكاي ، نفسه ، الورقة 3

⁴⁵ أحمد البكاي ، نفسه ، الورقة 3.

⁴⁶ السلطان مولاي اسماعيل: بن الشريف بن علي سلطان مغربي من سلالة العلويين كان حاكما للمغرب لمدة 55 سنة ، توفي سنة 1727م

⁴⁷ أحمد البكاي ، نفسه ، الورقة 3.

من كانوا يكرمون العلماء ويقربوهم ، وأما ملوك الدنيا أمثال الحجاج⁴⁸ فقد كانوا أشرارا أهانوا العلماء وأبعدوهم فكان ذكراً سيئاً لهم ، وكان هذا كله تذكيراً من الشيخ البكاي للأمير عمر الفوتي وتنبيهها له إلى سلوك طريق الأمراء المصلحين المحبين للعلم وأهله والمصلحين من عباده .

لطرش عمر

4.5 الفصل الرابع :

وفي هذا الفصل يؤكد الشيخ سيدي أحمد البكاي للأمير الشيخ عمر الفوتي بخصوص قبائل الطوارق⁴⁹، وطلبه بقاءهم في أرضهم والتوسط لهم عنده بعد عزمهم على الانتقال من أرضهم (خاصة تمبكت)⁵⁰ بعد ما ملكها الشيخ عمر الفوتي، ولعل ذلك بعد ما أخضع ماسينا⁵¹ سنة 1858م ، واتخذ منها قاعدة للسيطرة على بلاد الهوسا ، بلاد كورما ، ولتباكو، وتمبكتو⁵²، كما يذكره بالصلح الذي كان أخيه سيد المختار ، والذي أقدم عليه لدى الشيخ أحمد بن محمد لب⁵³ حاكم ماسينا ، لتثبيت الطوارق في أرضهم وقد كان فيه صلاح للعباد والبلاد ، إلا أنهم باقون على ما هم عليه من السطو والطمع والفساد ، وقد عزم الطوارق على إفساد الأرض والهجرة منها

⁴⁸الحجاج بن يوسف الثقفي: من قبيلة ثقيف التي تسكن الطائف واحد أكبر القبائل العربية في شبه الجزيرة العربية عادت الى الاسلام بعد فتح مكة، ولد سنة 40هـ كان فصيحاً بليغاً حافظاً للقرآن الكريم ، ويعد الحجاج أحد أهم من وطد الخلافة الاموية ، تولى الحجاج إمارة العراق في عهد الدولة الاموية وحارب الخوارج وكان شديد البأس توفي في شوال سنة 95هـ بعد أن قتل سعيد بن جبير ، ويذكر ان سعيد بن جبير دعا ربه أن لا يسلط الحجاج على أحد بعده فمات بعدة بفترة ، ينظر : منصور عبد الحكيم ، 2012م، ص 44.

⁴⁹الطوارق : إسم يشمل الشعوب البيضاء التي عرفناها في الصحراء الكبرى والقبائل في الجزائر والمغاربة في مراكش والسنغال والفولبي في السودان ، فان الظروف جعلتهم ينتهجون حياة التجوال والترحال ، ينظر : فليكس ديوا، 2003، ص 179،

والطوارق كما يذكر ابن خلدون ان اجدادهم من الصنهاجيين وردهم الى أصول عربية نزحت من جنوب الجزيرة العربية : ينظر محمد الصالح حوتيه ، مرجع سابق ، ص 64.

⁵⁰تمبكتو أو تنبكت تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى على منحى نهر النيجر أسسها الطوارق 948هـ . ينظر : محمد الصالح حوتيه ، نفس المرجع ص

40

⁵¹إمارة ماسينا أو ماسينه إمارة إسلامية أنشأها أحمدو لوبو من قبائل الفلان العربية والتي هاجرت الى منطقة ماسينا شمال مالي الحالية وتمتد شمال تمبكتو ، كما أسس حاضرة بجانبها أسمها حمد الله . ينظر : محمد سعيد القشاط ، المرجع السابق ، ص 37 .

⁵²بوركنه علي ، مرجع سابق ، ص 105.

⁵³لعله يقصد هنا أحمدو لوبو مؤسس إمارة ماسينا والذي قاتل الوثنيين وانتصر عليهم في جني وطهرها من البدع ، كما هاجم تمبكتو واخضع بقايا الحكم المغربي لسيطرته وأحكم قبضته على كامل المناطق القريبة من ماسينا .

والانحياز منها إلى سلاطينهم والتحالف مع قومهم بعد ما دخلها الحاج عمر الفوتي ، ولكن الشيخ أحمد البكاي تدخل لديهم ونهاهم عن الفساد والبقاء في أرضهم تحت إمارة الشيخ عمر الفوتي في انتظار رده على رسالته إليه .

غير أن الطوارق بعد تدخل الشيخ أحمد البكاي وسكونهم حدث تحالف بينهم وبين الشيخ أحمد بن أحمد⁵⁴ بن الشيخ لبو أمير ماسينا ، وأقدموا على مهاجمة جيش الشيخ عمر الفوتي ، وقد تحالف أحمد بن أحمد الشيخ مع جيش ملك (سيغو)الوثني الكافر ضد الشيخ عمر الفوتي⁵⁵ ، غير أن الشيخ أحمد البكاي أراد تصحيح موقفه وعلاقته مع الطوارق وادعائهم عليه في جعله أميراً لهم مقابل التحالف ضد جيش الحاج عمر الفوتي ، حيث يقول: "...واحتال علينا حيلة يريد أن يجعلني له أميراً وحاجباً في أمره وليس كذلك فإننا لا نجتمعنا مع الطوارق أثر ولا حال إلا أن الله جعل لهم هبة ومحبة لنا في قلوبهم وإننا نداريهم وندفع كثيراً من شرهم

العلاقة بين الطريقتين القادرية والتجانية ببلاد الساحل الإفريقي من خلال قراءة في مخطوط مرسل من الشيخ البكاي الكنتي الى الشيخ عمر تال الفوتي (أموذجاً).

عن كثير من عباد الله..."⁵⁶، ولعله يقصد هنا أمير ماسينا أحمد بن أحمد بن الشيخ الماسيني ، فقد تحالف الماسينيون مع الشيخ أحمد البكاي ضد قوات الحاج عمر ووعدوه بالإمارة عليهم⁵⁷، ومع ذلك يوصي الشيخ أحمد البكاي الأمير عمر الفوتي بترك الطوارق لعمارة وسكنى أرضهم تنبكت دون التدخل في عوائدهم وأحوالهم ، وردعهم عن الظلم ونهيهم عن التسلط ، حيث يقول: "... فمطلبي أن تسكينهم لعمارة هذه الأرض لاسيما تنبكت فإنها لاعمارها لها إلا بالطوارق ولا أريد منك أن تقرهم على الظلم..."⁵⁸، وينتظر منه الرد على رسالته وموقفه من تدخله لصالح قبائل الطوارق يقول : "...فاكتب لي بما رأيت وأن تقول لهم وماترضى منهم"⁵⁹،

5.5 الفصل الأخير :

ويعتبر هذا الفصل عبارة عن دوره كمصلح اجتماعي ، كما كان عليه أسلافه من كنته ، فقد كانوا صمام أمان في كامل منطقة الساحل الإفريقي ، وهي عبارة عن شفاعة تقدم بها الشيخ أحمد البكاي للأمير الشيخ عمر الفوتي في الخلاف الواقع بينه وبين أمير ماسينا أحمد بن أحمد بن الشيخ خاصة بعد هزيمته ، وكذلك يشفع في آل الشيخ أحمد وجميع أهل ماسينا ، وحتى أصحابه وأقاربه ، وقد كانوا استجاروا بالشيخ أحمد البكاي مذكرا إياه بالصفح عند المقدرة والإحسان ، يقول الشيخ : "...وأيضاً أكلّمك وأشفع إليك فيأحمد

⁵⁴أحمد بن أحمد بن الشيخ : هو الخليفة الثاني للدولة الماسينية ويسمى أحمدو شيخو خلف أباه أحمدو لوبوسنة 1844 م ، وقد وطم الامارة ورسخ الدين في مناطق البامبارا وغيرهم من القبائل في غرب افريقيا ، وتغلبت عليه قوات عمر الفوتي سنة 1862 م ودخلت عاصمته حمد الله وقيل في مدينة موبتي .

⁵⁵ الحسن يرولي ، مرجع سابق ، ص79.

⁵⁶أحمد البكاي ، نفسه ، الورقة 4 .

⁵⁷الحسن يرولي ، مرجع سابق، ص81.

⁵⁸أحمد البكاي ، نفسه ، الورقة 4.

⁵⁹أحمد البكاي ، نفسه ، الورقة 4.

بنأحمد بن الشيخ أن تحسن إليه وتعفو عنه... وجميع ماسني ثم أشفع إليك في أصحابه وأقاربه الذين وصلوا لي واستجاروا بيفاعف عنهم...⁶⁰، ثم ينتظر منه الرد في شفاعته فيهم يقول " أعني هل تقبل شفاعتي ولا يسوءك تعرضي لعمالك في ما يمنعه الشرع... " ⁶¹،

كما يقدم الشيخ أحمد البكاي شفاعته لأهل توات⁶²، ويبين للأمير عمر الفوتي مكانتهم عنده وأنهم منه وأهله وخاصته وأنه يدافع عنهم بقوة الله حيث يقول "...وفي خاصتي من الناس كأهل توات فإنك أظن تسمع أنهم مني وأنا منهم... " ⁶³.

أخيرا يختتم الرسالة بالثناء على الشيخ عمر الفوتي ويصفه بالتقوى وأنه من أهل الفضل والخشية ويدعو له بالنصر والتأييد ويقرأه السلام وهي عادة المسلمين في ختم الرسائل، ثم يخبره أن أصحابه سيذكرون له مظلمة له عند بني السود وهذا دليل على استعانتهم به

لطرش عمر

ضد الظلمة والصلوص حيث يدعو له أخيرا "... ردع الله بك الظالمين وفضح بك الظلم وأهله واحي بك العلم وعدله وأظهر بك الدين وفضله والسلام عليك وعلى جماعتك... " ⁶⁴.

6. أهمية رسالة المخطوط :

تعتبر رسالة الشيخ سيدي أحمد البكاي إلى الشيخ عمر الفوتي، بمثابة تقليد إسلامي وتأصيل ديني أمر به الشرع الحكيم، فهي بمثابة التواصل والتواصي بالحق، وتدخل في عقيدة المسلم من حيث هو مأمور بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما أنها تحمل في فصولها الأربعة تقديم النصح للمسلمين والتواصي بالزهد في الدنيا وحب العلماء وإكرامهم والبعد عن الظلم وكظم الغيظ والعفو والعديد من الخصال التي يجب أن تتوفر في الحاكم المسلم، حيث أبرزت الرسالة تلك العلاقة بين علمين وقطبين من أقطاب الإسلام والطرق الصوفية في منطقة الساحل الإفريقي، بحكم أن الشيخ سيدي أحمد البكاي كان الممثل الرسمي وحامل لواء ووريث الطريقة القادرية عن أسلافه، والشيخ عمر الفوتي كونه خليفة للطريقة التجانية بالمنطقة، بالرغم من أن العلاقة بين الشيخ عمر الفوتي ورجال القادرية بدأت مبكراً فقد ربطته مع أسرة أمير سوكوتو، أحمد بللو ابن الشيخ عثمان بنفوديو روابط دينية وعلمية واجتماعية وعاش فترة من الزمن في سوكوتو، واستفاد من تجربة الجهاد بين إمارة سوكوتو، وقبائل، كانم برنو⁶⁵،

⁶⁰ أحمد البكاي، نفسه، الورقة 4.

⁶¹ أحمد البكاي، نفسه، الورقة 4.

⁶² إقليم توات : هو مجموعة من واحات الصحراء الجزائرية الجنوبية الغربية ما بين سفوح الاطلس الجنوبي وبلاد السودان يحدها من الشمال العرق الغربي وهضبة تادمايتومن الجنوب هضبة مويدر وواد الساورة هو الطريق التجاري لإقليم توات وقد جاء ذكر الاقليم في المصادر العربية القديمة كابن بطوطة والسعدي .

ينظر : محمد الصالح حوتيه، مرجع سابق، ص 28.

⁶³ أحمد البكاي، نفسه، الورقة 4.

⁶⁴ أحمد البكاي، نفسه، الورقة 4.

⁶⁵ الحسن يرولي، نفس المرجع، ص 54.

بالإضافة إلى أن الرسالة تضعنا أمام واقع منطقة بلاد الساحل الإفريقي في تلك الفترة وأنها تسمت بالفراغ السياسي وانعدام السلطة ، كما أن التداخلات والزعامات وانتشار الطرق الصوفية ومريديها أظهر خلافات في المنطقة ، والذي عوضها بروز شخصيات دينية واجتماعية كان عليها الإجماع ، كما أنها شخصيات ذات مكانة علمية ورثتها عن أسرها كالشيخ أحمد البكاي الكنتي، فقد كانت قبيلة كنته بمثابة صمام الأمان في منطقة ماوراء الصحراء ، بداية من المجهودات الإصلاحية والمعاهدات التي أقامها الشيخ سيدي المختار الكنتي ، وسيدي محمد الكنتي ، وقد ذكرت الرسالة دور الشيخ سيدي المختار أخ الشيخ سيدي أحمد للسعي في الصلح بين الطوارق ، وماسينا ، وصولاً إلى الشيخ أحمد البكاي الكنتي .

لقد كان الشيخ سيدي أحمد البكاي والذي عاش في أكناف تنبكت رجلاً معروفاً في كل أرجاء الصحراء وأوروبا والعالم ، وله مراسلات بينه وبين ملكة إنجلترا ، كما أنه رجل يعرفه المستكشفون الأوروبيون ويتذكرون ورعه وتقواه ، وكان مضيفاً له نري بارث ، ودافع عنه بكل قواه⁶⁶.

الرسالة كذلك هي دلالة واضحة على عمق العلاقة وحب الخير للغير والنصح بين علمين مختلفي المذهب والطريقة ، العلاقة التي ربطت بين الشيخ أحمد البكاي ، والشيخ عمر الفوتي، رغم الاختلاف الواضح من خلال الرسالة في موقف الرجلين في قضايا الجهاد مع القدرة عليه ، وهي كذا تبرز بوضوح موقف الشيخ سيدي أحمد البكاي من الجهاد في منطقة الساحل الإفريقي ، كما نلتمس العلاقة بين الطريقتين القادرية والتجانية ببلاد الساحل الإفريقي من خلال قراءة في مخطوط مرسل من الشيخ البكاي الكنتي الى الشيخ عمر تال الفوتي (أنموذجاً) .

شهادات كثيرة من الشيخ أحمد البكاي للشيخ عمر بالتقوى والورع ، والكثير من الأدعية بالنصر والثبات للشيخ عمر ، والتي حملتها طيات الرسالة " عمر الفوتي أيد الله به الدين وقمع به المفسدين " ⁶⁷، كما أن الرسالة حملت تحذيراً في طياته الخوف على الشيخ عمر من المعرضين وناقلي الأخبار والحاquدين في تغيير تلك العلاقة بين الشيخ أحمد البكاي والشيخ عمر الفوتي ، إضافة إلى أنها حملت عدة وساطات والتي هي بمثابة شفاعة في أهل ماسينا وأمرائها ، والتي من الواضح أن الرسالة جاءت متزامنة مع حربها مع الشيخ عمر أو بعد هزيمتها ، وكذا أهل توات وهي وساطات لدى الشيخ عمر الفوتي، والتي نعتبرها مكانة للشيخ أحمد البكاي لدى الشيخ عمر .

7. خاتمة :

وفي الأخير يعد مخطوط رسالة الشيخ أحمد البكاي من أحد أبرز المخطوطات النادرة الموجودة في منطقة توات بالجزائر ، والتي تحمل الدلالة الثابتة على تلك الروابط القائمة بين الشخصيات الإسلامية في منطقة الساحل الإفريقي ، ومن ورائها الطرق الصوفية رغم منافستها واختلاف مشاربها ومريديها ، كما أن الاختلاف في مواقفها الفقهية والعقدية لم يعكر صفو الروابط الأخوية التي دعا إليها الإسلام .

⁶⁶ فلنكس دي بوا ، مرجع سابق ، ص 173.

⁶⁷ أحمد البكاي ، نفسه ، الورقة 1.

كما أن الرسالة أرشدتنا إلى قمة التعاملات الإسلامية الراقية في تلك الفترة ، والتي التمسنا فيها أسلوب الدين من الشيخ أحمد البكاي إلى الدعوة إلى التعاليم السليمة للإسلام من العفو والتخلي بالحلم وكظم الغيظ وحب الخير للغير ، دون اللجوء إلى التطرف والغلو في الخصومة بين الطرق والمذاهب ، ولعل الاختلاف الذي أشرنا إليه سابقاً في أمر الجهاد مع القدرة والذي كان لب الخلاف بين الشيخ أحمد البكاي والشيخ عمر الفوتي ، مع وجود الوثنيين وأصحاب البدع وطلائع الاستعمار والذي كان يرى الشيخ عمر الفوتي ضرورة مواجهتها دفاعاً عن تعاليم الأمة ، إلا أن الحوار والحجة وتبيين الموقف الفقهي كان السائد بين العلماء في بلاد الساحل من خلال الرسالة ، كما أن المواجهة بين الرجلين في الأخير قد يكون سببها المغرضين والحاقدون وأصحاب التمايم ، أو ربما الاستعمار الأوروبي ؛ الذي حاول التفرقة بين الطرق قصد إضعاف المنطقة ورموزها وبث الفرقة والشتات بين إماراتها ودولها ، حتى يتسنى له احتلال المنطقة واستغلال شعوبها بسهولة ، ولعلنا نترك الأمر إلى الباحثين والمختصين أو البحث فيه مستقبلاً ، والتي نقترح بدورنا الاهتمام بموضوع المخطوط والذي هو بمثابة إرث تاريخي للأمم ، وكذا تنظيم ملتقيات علمية للبحث أكثر عن صدقية تلك العلاقات بين الطرق الصوفية في الساحل الإفريقي .

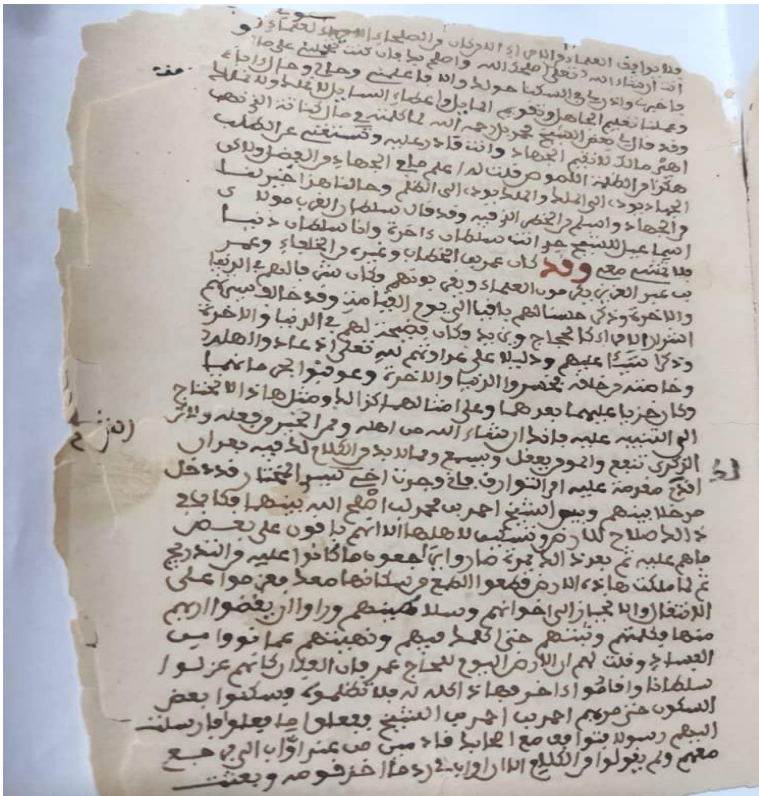
تعتبر الرسالة والتي اتسمت باللغة الراقية والألفاظ العربية الواضحة دليلاً على تطور اللغة العربية في بلاد الساحل الإفريقي وانتشارها بين القبائل الأفريقية ، غير أن مخطوط الرسالة بسبب قدمه وتمزق بعض الحواشي أعاق التعرف على بعض الكلمات التي قد تكون مهمة في البحث.

8. قائمة المصادر والمراجع

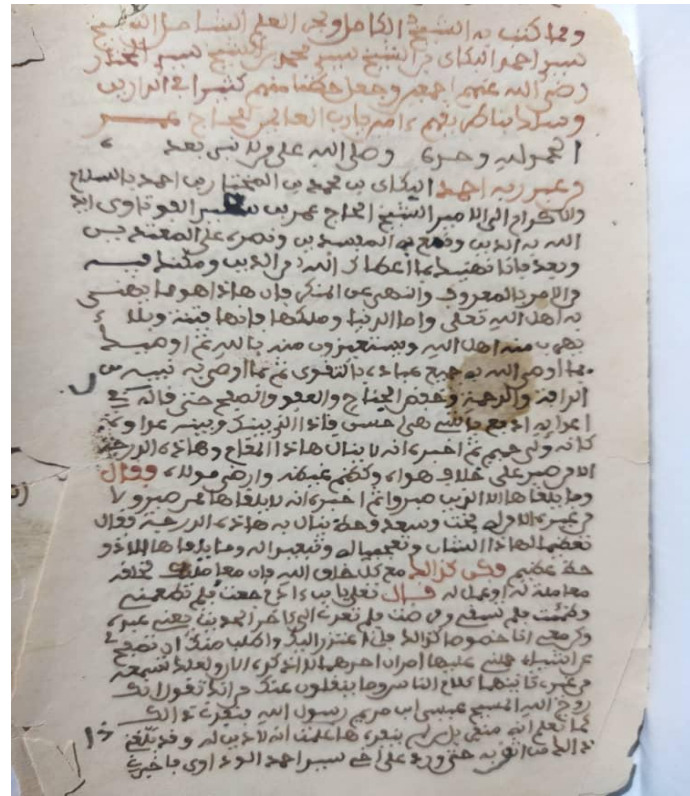
- 01- القرآن الكريم ، سورة فصلت ، رواية ورش عن نافع .
- 02- أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ، 1991م ، صحيح مسلم ، دار الحديث ، القاهرة ، تح : محمد فؤاد عبد الباقي .
- 03- الشيخ أحمد البكاي الكنتي ، مخطوط مراسلة بخزانة شيخ الركب النبوي قبلي ، دائرة أولف ، ولاية أدرار .
- 04- محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي الولائي ، 1981 ، فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، تح : محمد إبراهيم الكتاني ومحمد حجي .
- 05- محمد الحافظ التيجاني ، 1963 ، الحاج عمر الفوتي سلطان الدولة التيجانية بغرب إفريقيا ، الزاوية التيجانية الكبرى ، مصر .
- 06- أحمد الأزمي ، سنة 2000 ، الطريقة التيجانية في المغرب والسودان الغربي خلال القرن 19م ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ج2 .
- 07- محمد سعيد القشاط ، 1997 ، أعلام من الصحراء ، دار الملتقى للطبع والنشر ، بيروت لبنان ، ط 1 .
- 08- كي زيربو جوزيف ، سنة 1994 ، تاريخ إفريقيا السوداء ، تر : شام يوسف شلب ، القسم الثاني ، منشورات وزارة الثقافة سوريا ،
- 09- علي بوركنه ، 2020 ، التجاني عمر بن سعيد تال الفوتي وإصلاحه الديني والسياسي في غرب إفريقيا ، مجلة المفكر ، جامعة الجزائر 02 ، المجلد 4 العدد 2 .
- 10- عثمان برايمباي ، سنة 2000م ، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي ، دار الأمين للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 .
- 11- محمد بن شوش ، ماي 2017 ، مقاومة الحاج عمر (1840 . 1864) مجلة الدراسات الإفريقية ، جامعة الجزائر 2 ، السنة 3 ، العدد 5 ، 187 صفحة .
- 12- أج ولد محمد ولد أمينه ، 2013 ، دور القادرية الكنتية في التبادل الثقافي بين شنقيط والمغرب خلال القرنين 18 و 19م ، مجلة الدراسات التاريخية والاجتماعية ، الجامعة الإسلامية العيون ، موريتانيا ، العدد 1 ، 154 صفحة .
- 13- عبد القادر زياديه ، ماي 2010 ، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر ومؤلفات العرب والمسلمين ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

- 14- محمد الصالح حوتيه ، 2007م، توات والازواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر الهجري ، دار الكتاب العربي للنشر ، الجزائر ، الجزء الاول .
- 15- ابي بكر محي الدين محمد بن علي بن عربي ، 1999، الفتوحات المحكية ، دار الكتب العلمية للنشر ، بيروت لبنان ، تصحيح : احمد شمس الدين ، الجزء 1.
- 16- عبد الصبور صلاح ، سنة 2000 ، مأساة الحلاج ، مكتبة الاسكندرية ، مصر .
- 17- الحسن يرولي ، سنة 1998 ، جهاد الحجاج عمر الفوتي تال نظريا وتطبيقيا ، مجلة الدراسات الافريقية ، معهد البحوث والدراسات الافريقية ، جامعة القاهرة العدد 20 ، 90 صفحة .
- 18- الهادي هارون ، 2017م ، التأثير السياسي للطريقة القادرية في افريقيا جنوب الصحراء في العصر الحديث ، مجلة روافد للبحوث ، جامعة غرداية ، العدد 27، 27 صفحة .
- 19- منصور عبد الحكيم ، 2012م، الحجاج بن يوسف الثقفي طاغية بني امية ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ،
- 20- دي بوا فيلكس ، 2003 ، تمبكت العجيبة، تر: عبد الله عبد الرزاق ابراهيم ، المجلس الاعلى للثقافة ، القاهرة ، ص 173.

9. الملحق



الورقة 02



الورقة 01